

الديمقراطيون في الكونغرس والمحافظون الجدد في البيت الأبيض، فكلاهما من أشد الداعمين لـ(إسرائيل)، وكلاهما يحمل مبرراته لدعم (إسرائيل). فالديمقراطيون يدعمون (إسرائيل) كمنطلق أساس من منطلقات حزبهم، أما الجمهوريون والذين يمثلهم المحافظون الجدد فإن دعمهم لـ(إسرائيل) ينطلق من معتقداتهم الدينية، لذلك فإنه ليس من المتوقع أن يحدث تغيير في السياسة الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية عما هي عليه الآن سوى الدخول في التفاوض مع (إسرائيل) بدون أي ضمانات مسبقة وكفاية في حد ذاته.

ويبقى خيار المقاومة العربية

وإذا كان غاية ما يصبو إليه التقرير في ما يقدمه للعرب في صراعهم مع (إسرائيل) هو الجلوس مع الجانب الإسرائيلي، في مقابل تحقيق جملة أهداف تضمن لأمریکا موقفاً أفضل في العراق، وتضمن لحليفها (إسرائيل) مكاسب بالجملة، إلا أن خيار المقاومة العربية يبقى هو الخيار الأنجع عربياً للوصول للحقوق العربية المغتصبة لجملة أسباب. أولاً: خيار المقاومة هو وحده من يزلزل ويغير السياسات - والحالة العراقية نموذجاً - فقد استطاعت أن تدفع الجيش الأمريكي نحو الإقرار بعجزه عن السيطرة على الوضع، هذا الاعتراف بالعجز يوازي الاعتراف بالهزيمة، حين يتعلق الأمر بدولة عظمى.

ثانياً: المقاومة وحدها هي الكفيلة بنقل الآثار السلبية للخسائر التي تلحقها بعبورها إلى عمق مجتمعه، وبالتالي نقل الإحباط على تعديل المواقف إلى الداخل - وهذا ما فعلته المقاومة اللبنانية وما أحدثته من ضرب للدخل الإسرائيلي ليس عسكرياً فحسب، ولكن أيضاً خلافاً بين جبهاته نموذجاً وسقوط الجمهوريين في انتخابات الكونغرس والإطاحة ببعض رموزهم بفضل المقاومة العراقية.

ثالثاً: المقاومة هي الأقدر على الصمود أمام عدوها، قدرة المقاومة الفلسطينية المسلحة على البقاء والصمود في وجه الاحتلال الإسرائيلي - نموذجاً - بالرغم من وجود هذه المقاومة داخل القبضة العسكرية الإسرائيلية، والتي تمارس ضدها عمليات قاسية (الاغتيالات - الغارات التدميرية - الاعتقالات الدائمة والمنهجية - التجويع)، ثم اضطراب المحتل الإسرائيلي للاعتراف بأنه لا يستطيع القضاء على هذه المقاومة. ■

حتى يبدأ من جديد. ويضع تقرير بيكر - هاملتون الحكومة الأمريكية أمام تنفيذ سيناريو مشابه الآن، فهو يدعو إلى دور أمريكي في إنجاز تفاوض إسرائيلي فلسطيني سوري لبناني تعد فيه أمريكا العرب بالضغط من أجل عودة مرتفعات الجولان المحتلة، ودعم حكومة موابية لها في فلسطين، وتبني قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ و٣٣٨ كأساس للتسوية القائمة على الأرض مقابل السلام. وذلك في مقابل تخفيف الاحتقان ضد أمريكا في العالم العربي والإسلامي، وأن تقوم سوريا بدور في تحقيق الاستقرار في العراق من خلال التحكم بحدودها، وأمنياً من خلال فتح خط ساخن لتبادل المعلومات مع العراقيين، والتوقف عن التدخل في لبنان وعن تعاونها الكامل في الاغتيالات السياسية في لبنان، والتوقف عن دعم حزب الله، واستخدام سوريا لتأثيرها على الحزب وحماس لإطلاق سراح الجنود الإسرائيليين الأسرى لدى الجماعتين، والتوقف عن دعم حماس والجماعات الفلسطينية بتوفير السلاح، والالتزام أمام أمريكا بأنها ستقنع حركة حماس بالاعتراف بـ(إسرائيل). والتقرير لا يوصي بالتأكيد الإدارة الأمريكية بحثاً (إسرائيل) على التفاوض مع منظمات ترى أنها (إرهابية) مثل حماس وحزب الله.

وفي مقابل أن تدخل (إسرائيل) في سباق التفاوض العربي من جديد - وكان التفاوض مع (إسرائيل) هدف عربي في حد ذاته - فإن التقرير يعد الإسرائيليين بالقضاء على المقاومة العربية فلسطينياً ولبنانياً، ومنح عقوبة العسكرة في المجتمع الإسرائيلي فترة إجازة مع التشديد على عدم تخلي أي من الديمقراطيين أو الجمهوريين عن (إسرائيل). فإذا كان الفلسطينيون قد حققوا بعض المكاسب من اتفاقية أوسلو - مازال الداخل الفلسطيني مختلفاً حول ما إذا كان قد تم تحقيق مكاسب أم لا - إلا أن تقرير بيكر هاملتون يسوق الوهم بعينه إلى الأطراف العربية، فمع بداية ماراتون التفاوض في حالة حدوثه تحوالذي يرفضه الداخل الإسرائيلي حتى مع مزايا ضمان وقف المقاومة العربية فلسطينياً ولبنانياً بتحيد حزب الله وحماس - ستستمر الولايات المتحدة في سياستها الداعمة لـ(إسرائيل) ضد الفلسطينيين حتى مع خسارة الجمهوريين للكونغرس، ويعود السبب في ذلك إلى أن الحزب الديمقراطي يعتبر تقليدياً هو الحزب الأكثر دعماً لـ(إسرائيل)، وهو ما يعني أن سياسة الولايات المتحدة الداعمة لـ(إسرائيل) والضاغطة على الفلسطينيين، لن يكتب لها التغيير بل ستستمر خاصة إذا ما اجتمع

سورية وفلسطين. وهذا الالتزام يجب أن يشمل المحادثات المباشرة بين أطراف الصراع (إسرائيل) من ناحية والذين يقبلون بحق (إسرائيل) في الوجود من الفلسطينيين واللبنانيين والسوريين من ناحية أخرى، ولأنه لا حل عسكرياً لهذا الصراع فيجب التمسك بقراري مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ ومبدأ الأرض مقابل السلام، باعتبارها الأساس الوحيد لتحقيق السلام، وتقديم دعم قوي للرئيس الفلسطيني محمود عباس والسلطة الفلسطينية لأخذ زمام المبادرة بتمهيد الطريق لإجراء مفاوضات مع (إسرائيل)، وبذل جهد كبير في دعم وقف إطلاق النار، وعقد مفاوضات تعالج قضايا الوضع النهائي الخاصة بالحدود والمستوطنات والقدس وحق العودة ونهاية الصراع. إن التقرير فيه نقاط تعد مختلفة عما سبقه من تقارير متشابهة مثل الربط بين ما يحدث في الشرق الأوسط ومسار الصراع العربي الإسرائيلي وحرص التقرير على الإشارة إلى تعبير «حق العودة للاجئين الفلسطينيين»، كإحدى قضايا المفاوضات بين الفلسطينيين والإسرائيليين، الذي أغفلته المبادرة العربية الصادرة عن قمة بيروت عام ٢٠٠١ (حيث لم تتطرق بشكل مباشر إلى حق العودة للاجئين). وكذلك المطالبة بتغيير واشنطن نفسها لأسلوب إدارة أزماتها مع الدول الرئيسية في المنطقة، مثل سوريا وإيران، إلى الحوار المباشر معها، والاعتراف أن الإدارة الأمريكية بحاجة لإرادة سياسية كبيرة من أجل تصحيح الأوضاع وليس حلها، وأن الأمريكيين غير راضين عن الوضع في العراق ولا عن الطريقة التي يجري فيها النقاش حوله على المستوى السياسي في داخل أمريكا.

رغم كل ما سبق، فإن التقرير، فيما يخص قضايا الصراع العربي الإسرائيلي ودعوته إلى تدخل أمريكي بهدف إحراز تسوية لقضايا هذا الصراع عن طريق المفاوضات بين كل أطراف القضية، يعيد إلى الأذهان سيناريو فوزه جورج بوش الأب أثناء حرب الخليج الأولى، عندما سوق لمشروع مفاوضات بين الفلسطينيين والإسرائيليين - بدأت بمؤتمر مدريد وانتهت باتفاقية أوسلو - يومه به العرب والفلسطينيين بإمكانيّة إعطائهم بعض الحقوق، ويستفيد هو منه بتحيد تأثير قضية الصراع العربي الإسرائيلي على مسار حربه ضد العراق، وتستفيد (إسرائيل) بوقف الانتفاضة الأولى التي عجزت كل وسائلها العسكرية عن وقفها، كذلك تكون هناك فرصة أكبر لتحريك صراع فلسطيني داخلي حول سلطة ناقصة وسباق تفاوض لا ينتهي